

# Death and funeral ceremony at the special class in Egypt during the Fatimid era

الملف



## مراسم الموت والجنائز عند طبقة الخاصة في مصر في العصر الفاطمي

د. محمد أحمد أحمد إبراهيم

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة بني سويف - جمهورية مصر العربية



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد أحمد أحمد إبراهيم، مراسم الموت والجنائز عند طبقة الخاصة في مصر في العصر الفاطمي، دورية كان التاريخية، العدد العشرون؛ يونيو ٢٠١٣، ص ١٤٦ - ١٦١.

[www.kanhistorique.org](http://www.kanhistorique.org)

ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية المواطن .. عربية الهوية .. عالمية الأدي

## مُلخَص

وصياغتها لهذه المراسم والتعبير عنها. وتهدف هذه الدراسة إلى رصد وتحليل مراسم الموت والجنائز عند طبقة الخاصة للوقوف على أشكالها وتطورها، فضلاً عن استجلاء بعض الدلالات والمضامين المهمة لهذه المراسم على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تاريخ الدولة الفاطمية.

مثلت طبقة الخاصة في كل المجتمعات الإسلامية، قمة الهرم السياسي والاجتماعي في الدولة، لذا فقد استوجبت مكانة أفرادها ومناصبهم الهامة وضع قواعد وإجراءات رسمية في تجهيزهم عند الموت أو في مظاهر الحزن والحداد عليهم. وقد احتل الخلفاء وأسراهم من الأبناء والزوجات، وكذلك الوزراء والقواد والأمراء ورجال الدين رأس هذه الطبقة، إذ كانت تجرى لهم - دائماً - ترتيبات ومراسم تتفق ومكانتهم داخل الدولة، فكما اتسمت حياتهم الدنيا بالثراء والبذخ، اتسمت أيضاً مراسم تجهيزهم ودفنهم بعد الموت بالبذخ والنفقة العالية. ورغم خلو المصادر من ذكر التفاصيل الدقيقة لمراحل تجهيزهم عند الموت، إلا أن هناك بعض الإشارات والنصوص المتفرقة لهذه المراحل، يمكن من خلالها تكوين صورة عامة لهذه المراسم، خاصة في مراحل الغسل والتكفين وتشيع الجنائز والدفن والعزاء والحداد.

## أولاً: الخلفاء وأسراهم

جرت العادة عند موت أحد الخلفاء أو أفراد أسراهم، أن يقوم بمهمة الغسل والتكفين أحد كبار رجال الدولة من رجال الدين أو بعض الوزراء، وغالباً ما كان يتولى من رجال الدين هذا الأمر قاضي القضاة أو داعي الدعاة، وذلك لمعرفتهما بأحكام الفقه وشعائر الدين،<sup>(٤)</sup> فعند وفاة الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) في مدينة بلبس،<sup>(٥)</sup> حُمل إلى القصر وتولى غسله قاضي القضاة محمد ابن النعمان،<sup>(٦)</sup> وعند وفاة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) تولى غسله قاضي القضاة أبو محمد القاسم بن عبدالعزيز بن النعمان مع شيخ القرافة.<sup>(٧)</sup> كذلك كان قاضي القضاة يتولى أمر تغسيل أبناء الخلفاء وإخوانهم، فعند وفاة الأمير عبدالله بن المعز (ت ٣٦٤هـ/٩٧٤م) والأمير تميم بن المعز (ت ٣٧٤هـ/٩٨٥م) قام قاضي القضاة محمد بن النعمان بأمر الغسل، فيذكر المقرئ في وفاة الأمير عبدالله بن المعز: "فأمر - المعز - القاضي محمد بن النعمان بغسله"،<sup>(٨)</sup> كما يذكر ابن خلكان في وفاة الأمير تميم بن المعز: "حضر أخوه العزيز نزار بن المعز الصلاة عليه في بستانه، وغسله القاضي محمد بن النعمان، وكفنه في ستين ثوباً"،<sup>(٩)</sup> كما تولى داعي الدعاة غسل أحد أبناء الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م، فيذكر المسبجي: "وتولى داعي الدعاة قاسم بن عبدالعزيز بن النعمان غسله وصلى عليه".<sup>(١٠)</sup>

على الجانب الآخر كان بعض الوزراء يقومون أحياناً بتولي غسل الخلفاء وتكفينهم، فعند مقتل الخليفة الظافر بأمر الله سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م استنجد أهل القصر بوالي الأشمونيين والهنسا في ذلك الوقت طلائع بن رزيك، الذي قدم على رأس جيش إلى القاهرة

مثلت طبقة الخاصة في كل المجتمعات الإسلامية، قمة الهرم السياسي والاجتماعي في الدولة، لذا فقد استوجبت مكانة أفرادها ومناصبهم الهامة وضع قواعد وإجراءات رسمية في تجهيزهم عند الموت أو في مظاهر الحزن والحداد عليهم. ولاشك أن دراسة هذه المراسم المتعلقة بالموت والجنائز عند طبقة الخاصة، تكشف عن عدة أشياء تتعلق بالسلوك الرسمي للدولة حيال الموت وشخصيات المتوفين، كما توضح أيضاً أثر التركيب الاجتماعي الطبقي في العصر الفاطمي، وأنماط العلاقات بين الأفراد والجماعات. على الجانب الآخر توضح هذه المراسم دور المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلوك الدولة وصياغتها لهذه المراسم والتعبير عنها. وقد حرصت الدراسة على رصد وتحليل كل المراحل والخطوات المتبعة في هذه المراسم، بدءاً من الغسل، والتكفين، وصلاة الجنائز وتشيعها، ومرحلة الدفن، والعزاء، وانتهاءً بالحداد.

## مُقَدِّمَةٌ

احتلت نظم الفاطميين ورسومهم<sup>(١)</sup> أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية، إذ شكلت تلك النظم والرسوم معالم بارزة في تاريخ دولتهم، لذا فقد عني كثير من المؤرخين والباحثين بالكتابة عنها في جوانب شتى.<sup>(٢)</sup> وبالرغم من أهمية تلك الكتابات وقيمتها في دراسة تاريخ الدولة الفاطمية وحضارتها، إلا أن هناك بعض الجوانب المتعلقة بهذه النظم والرسوم لم يحظ بالاهتمام أو الدراسة بالقدر الكافي، ونعني به تلك المراسم<sup>(٣)</sup> الخاصة بموت طبقة الخاصة وبنائزها، إذ شكلت تلك المراسم جزءاً مهماً من نظم الفاطميين وتقاليدهم في جميع مراحلها، بدءاً من الغسل والتكفين والصلاة على المتوفى وتشيعه حتى الدفن والعزاء والحداد.

ونظراً لما تمثله بعض المصطلحات ودلالاتها من أهمية بالغة في الكتابة التاريخية، فقد عمدت الدراسة إلى استخدام مصطلح المراسم عوضاً عن الرسوم، لما يحمل هذا المصطلح من معان تدل على القواعد والإجراءات الرسمية التي عمدت الخلافة أو البلاط الفاطمي إليها في التعامل مع شعائر الموت والجنائز، خاصة فيما ارتبط بطبقة الخاصة من الخلفاء والوزراء والقواد، إذ كانت تجرى لهم هذه المراسم في إطار رسمي، وفق إجراءات وترتيبات يقوم بالإشراف عليها البلاط الفاطمي أو الخلفاء أنفسهم، كذلك كانت تصدر سجلات رسمية للتعزية بشأن بعض الشخصيات تخرج من ديوان الإنشاء، تعبيراً عن تقدير الدولة لمكانتهم واعتراً بما قدموه من أعمال جليلة.

ولاشك أن دراسة هذه المراسم المتعلقة بالموت والجنائز عند طبقة الخاصة، تكشف عن عدة أشياء تتعلق بالسلوك الرسمي للدولة حيال الموت وشخصيات المتوفين، كما توضح أيضاً أثر التركيب الاجتماعي الطبقي في العصر الفاطمي، وأنماط العلاقات بين الأفراد والجماعات. على الجانب الآخر توضح هذه المراسم دور المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلوك الدولة

قام ابنه داود بالصلاة عليه،<sup>(٢٥)</sup> كذلك يذكر ابن ميسر في وفاة السيدة العزيرية زوجة الخليفة العزيز بالله: "فحملت إلى القصر وصلى عليها العزيز بالله".<sup>(٢٦)</sup> كما تولى داعي الدعاة الصلاة على بعض نساء القصر من أقارب الخلفاء وزوجاتهم، فيذكر المسيحي: "أما عبدالله بن المعز فقد تعلق بجارية تُدعى عليه، وكانت من وجوه عجايز القصر وعقلائهن، فلما توفيت صلى عليها داعي الدعاة قاسم بن عبدالعزيز النعمان، ودفنت عند رجلي مولاها في داره".<sup>(٢٧)</sup>

وكانت العادة أن يكبر على جنائز الخلفاء أو أسرهم، على قدر منزلتهم ومكانتهم، فقد ذكر ابن ميسر: "وفي صفر توفي ابن عم للمعز، فخرج المعز وصلى عليه وعلى رجل آخر وكبر على ابن عمه سبغاً وعلى الرجل خمساً"،<sup>(٢٨)</sup> وهذا على ما ذكره البعض قياساً على ما كان يقوم به علي بن أبي طالب (عليه السلام)، من التكبير على الميت على قدر منزلته،<sup>(٢٩)</sup> ومع ذلك فقد أباحت الدولة التبريع والتخسيس في صلاة الجنائز، فيذكر المقرئ في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م: "قرئ سجل في رمضان ... يخمس في التكبير على الجنائز الخمسون، ولا يمنع من التبريع عليها المربعون .. كل مسلم يجتهد في دينه اجتهاده".<sup>(٣٠)</sup>

أما عن كيفية خروج الجنائز وحمل الميت، فقد أشارت أغلب النصوص إلى وضع الميت في تابوت، وهو الصندوق الخشبي المغطى، فقد كانت عادة الفاطميين وقبل مجيئهم إلى مصر، وضع أجساد الخلفاء والأبناء في توابيت خشبية لحفظ أجسادهم عند نقلهم، فيذكر المقرئ: "دفن المعز لدين الله أباه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب"،<sup>(٣١)</sup> وظل هذا التقليد متبعاً مع جميع من مات منهم في مصر، فعند وفاة الأمير عبدالله بن المعز، خرج في تابوت وحوله أهل الدولة بالصرخ والبكاء،<sup>(٣٢)</sup> كذلك عند وفاة الخليفة الظافر بأمر الله يذكر ابن ميسر: "فغسله وكفنه - طلائع بن رزيك - وعمله في تابوت مغشى"،<sup>(٣٣)</sup> وفي وفاة الخليفة الفائز بنصر الله أخرج - أيضاً - في تابوت وصلى عليه وحمل إلى التربة.<sup>(٣٤)</sup> وفيما يختص بحمل الميت أثناء الجنائز ونقله إلى المقبرة، نستنتج من خلال نص لابن ميسر، أن هذه المهمة عند وفاة الخلفاء كانت تقتصر على الأمراء ورجال القصر، إذ يذكر في جنازة الخليفة الظافر بأمر الله: "وحمله الأستاذون والأمراء"،<sup>(٣٥)</sup> كما كان من العادات المتبعة تغطية التابوت بأفخر أنواع الأقمشة الحريرية، وهو ما يشير إلى إعلان التميز الطبقي الذي اتسمت به جنائز الخلفاء.

وكان الخروج لتشيع جنائز الخلفاء وأسرهام واجباً مقدساً يجب أدائه، فضلاً عن الرغبة في الثواب من الله،<sup>(٣٦)</sup> وقد تحكمت المكانة الاجتماعية للمتوفي غالباً في عدد المشيعين ونوعيتهم، ففي جنائز الخلفاء كان الوزير والأمراء وكبار رجال الدولة يتصدرون الجنائز تشريفاً لها، فضلاً عن الأقارب وحاشية القصر، فيذكر ابن الطوير في جنازة الخليفة الظافر: "ومشى الصالح بن رزيك ... والخلق قدام الجنائز إلى موضع الدفن"،<sup>(٣٧)</sup> كذلك يشير ابن تغري بردي إلى تصدر الأمراء في جنازة الظافر: "ومشى الأمراء قدام

بعد فرار الوزير عباس الصنهاجي وابنه نصر، وقام بإخراج الخليفة الظافر من المكان الذي دفنه فيه نصر بن عباس، ثم قام بالغسل والتكفين قبل أن يأمر بإعادة دفنه مرة أخرى في تربة القصر.<sup>(٣٨)</sup> كذلك كان يقوم أحد أبناء الخلفاء في بعض الأحيان بمهمة الغسل والتكفين، مثلما حدث عند وفاة الخليفة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)، إذ يذكر المقرئ: "لما مات العاضد غسله ابنه داود وصلى عليه".<sup>(٣٩)</sup> ولما كانت قراءة القرآن من مظاهر الترحم على الميت وطلب المغفرة، فكانت تتم قراءة بعض الآيات قبل وأثناء الغسل،<sup>(٤٠)</sup> كذلك كانت تستخدم في عملية الغسل بعض المواد العطرية، كماء السدر وماء الورد أو الكافور والمسك وهو ما عُرف بالحنوط.<sup>(٤١)</sup>

أما في حالة وفاة زوجات أو نساء القصر، فكان يتولى غسلهن نساء متخصصات امتهن هذه المهنة، حتى أن الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) عندما مَنَعَ خروج المرأة في عصره استثنى من هذا المنع الغاسلات، لأنه لم يكن من الممكن الاستغناء عن خدماتهن في هذه الأوقات.<sup>(٤٢)</sup> وكان من العادات المتبعة أن يأخذ الغاسل أو الغاسلة، ما على المتوفي من ثياب بعد الغسل، وقد شمل هذا التقليد الرجال والنساء، فعندما غُسل قاضي القضاة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، أخذ ما عليه من ملابس،<sup>(٤٣)</sup> كذلك عند وفاة السيدة العزيرية زوجة الخليفة العزيز بالله، أخذت الغاسلة ما كان تحتها من فرش وما كان عليها من الثياب، فكان مبلغ ذلك ستة آلاف دينار.<sup>(٤٤)</sup>

أما فيما يختص بالكفن،<sup>(٤٥)</sup> فقد كانت أكفان الخلفاء وأسرهام تخرج من الخزانة الخاصة بالقصر الخلافي،<sup>(٤٦)</sup> وأحياناً من خزائن الوزير القائم بالأمر في ذلك الوقت، وكان الكفن في هذه الحالة يتناسب مع مكانة المتوفي ومنزلته الاجتماعية، إذ كان يحتوي على المنسوجات الحريرية والعطور والطيب، إضافة إلى كثرة أعداده وارتفاع قيمته المادية، فقد ذكر ابن خلكان عن عدد أكفان الأمير تميم بن المعز: "وكفن في ستين ثوباً"،<sup>(٤٧)</sup> كما ذكر ابن ميسر في مقدار كفن زوجة الخليفة العزيز بالله: "وكُفنت بما مبلغه عشرة آلاف دينار".<sup>(٤٨)</sup> وإذا كانت المصادر لم تشر صراحة لعدد أو قيمة أكفان بعض الخلفاء، فلنا أن نستنتج أعدادها وقيمتها من خلال ما علمناه من عدد أكفان أسرهم، بل نستطيع أن نستنتج أنها كانت أكثر من ذلك وأقيم بالمقارنة لمكانتهم ومنزلتهم.

كانت تلي مرحلة الغسل والتكفين الصلاة على الميت أو صلاة الجنائز،<sup>(٤٩)</sup> وهي من المراحل المهمة في مراسم الموت لدى طبقة الخاصة، لأنها تحمل مضموناً دينياً وسياسياً في الوقت نفسه، فقد كان يتجمع فيها كبار شخصيات الدولة في الإيوان الكبير بالقصر الخلافي، حيث كان يؤمهم في هذه الصلاة الخليفة أو قاضي القضاة أو داعي الدعاة،<sup>(٥٠)</sup> فعند وفاة الخليفة الظافر بأمر الله سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م قام بالصلاة عليه ابنه الفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م)،<sup>(٥١)</sup> وعند وفاة الخليفة العاضد لدين الله،

ومن الجدير بالذكر: أن هذه المهنة لم تكن غريبةً على المجتمع المصري طيلة عصوره، إذ كانت ترتبط إلى حد كبير بعادات المصريين القدماء، الذين كانوا يحرصون على تأجير النادبات لخشيتهم ألا يعبرون عن حزنهم على المتوفى تعبيرًا كافيًا يُعبرون من أجله،<sup>(٥١)</sup> وقد تم تفعيل هذه المهنة وازدادت وضوحًا عند نساء الأقباط فيما بعد، فيذكر العالم الفرنسي دي شابرول أن الأقباط هم الذين نقلوا هذه العادات بعد ذلك إلى المسلمين،<sup>(٥٢)</sup> لذلك فقد حرص بعض الخلفاء الفاطميين على الحد من هذه الظاهرة، بإصدار الأوامر والسجلات التي تمنع خروج النساء وراء الجنائز أو فوق المقابر، خاصة الخليفة الحاكم بأمر الله وولده الظاهر لإعزاز دين الله، فيذكر ابن سعيد: "حظر الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٤هـ على النساء البكاء والعيول وراء الجنائز وخروج النائح بالليل والزمر على الميت، وفي سنة ٤٠٢هـ مُنعت النساء من زيارة القبور، فلم ير في الأعياد امرأة على قبر، كما مُنعت نساء الشراعات التي كانت النساء ينصبها في المقابر أيام الزيارة".<sup>(٥٣)</sup> وقد تكررت هذه الأوامر بالمنع مرة أخرى في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، خاصة في أعوام ٤١٢هـ و ٤١٤هـ،<sup>(٥٤)</sup> مما يؤكد أن هذه الأوامر لم تكن لتقضي على تلك العادات السيئة، لتأصلها بين طبقات المجتمع، رغم التشدد الذي لزم هذه الأوامر - في بعض الأحيان - بسجن النائح،<sup>(٥٥)</sup> إذ تكررت هذه المظاهر بعد ذلك وبشكل واضح عند وفاة الخليفة الظافر.

أما عن مرحلة الدفن<sup>(٥٦)</sup> في المقابر، فكان المتبع أن يدفن الخلفاء وأسراهم في مقابر خاصة بهم وحدهم، سُميت بترية<sup>(٥٧)</sup> الزعفران أو التربة المعزية، وكانت تقع في الركن الجنوبي الغربي للقصر الشرقي الكبير،<sup>(٥٨)</sup> وحدد المقرئ موقعا قائلاً: "وهو مكان كبير من جملتها الموضوع الذي يُعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك باهما... مكان بجوار خان الخليلي من بحريه".<sup>(٥٩)</sup> وكان من المتبع أن يتم دفن المتوفين من الخلفاء أو أسراهم بالتابوت داخل هذه التربة، فدفن فيها المعز لدين الله وآبائه الذين أحضر توابيتهم معه من إفريقية، ثم ظلت بعد ذلك مكان الدفن الرسمي لكل خلفاء الدولة ومعظم أولادهم ونساءهم، عدا الخليفة الحاكم بأمر الله الذي لم يعثر له على جثته بعد قتله.<sup>(٦٠)</sup>

أعدت تربة الزعفران لتتناسب مع مكانة الخلفاء وثرأهم، إذ احتوت على بعض المحارِب والمباخر والقناديل الذهبية المعلقة للإضاءة، حتى أنه في أحداث الشدة العظيمة في عصر الخليفة المستنصر بالله (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٤-١٠٧١م) طلب الجند الأتراك من المستنصر مرتباتهم، فمأطلمهم بها، فهجموا على هذه التربة وأخذوا ما فيها من قناديل الذهب والآلات كالمداخن والمجامر وحلي المحارِب، فكانت قيمة ذلك خمسين ألف دينار،<sup>(٦١)</sup> كذلك اضطُر المستنصر بالله نفسه تحت وطأة الحاجة إلى بيع بعض حليه وآلات هذه التربة في أحداث الشدة العظيمة.<sup>(٦٢)</sup>

الجنائز".<sup>(٦٣)</sup> وقد حرص صلاح الدين على الاشتراك في جنازة الخليفة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين والسير فيها، فيذكر المقرئ: "وقد أظهر الكآبة والحزن وأجرى دمعه".<sup>(٦٤)</sup> وكانت العادة أن يخرج المشيعون خلف الجنازة وهم مترجلون، فلم يكن يركب في هذه المناسبة إلا الخليفة إذا حضر تشييع الجنازة،<sup>(٦٥)</sup> إذ خرج الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) بنفسه لتشييع جنازة وزيره بهرام الأرمي وسار خلف تابوته راكبًا بغلَّة شهباء، فلم ينزل عنها إلا عند حافة القبر.<sup>(٦٦)</sup>

وغالبًا ما كان يتخلل تشييع جنائز الخلفاء وأسراهم، إعلان بعض مظاهر الحزن التي تعددت صورها تبعًا لمكانة المتوفى وسيرته عند الناس، فعند وفاة الخليفة العزيز بالله خرج ولده الحاكم بأمر الله مرتديًا دراعاً مصمتة،<sup>(٦٧)</sup> ويذكر ابن ميسر: "ولم يبق شارع ولا زقاق إلا وفيه صراخ ونحيب"،<sup>(٦٨)</sup> كما كان ارتداء اللون الأخضر، من أبرز الألوان الخاصة بالحداد لديهم، حيث كان شعار الدولة الرسمي الذي لجأت إليه للبعد عن اللون الأسود شعار الدولة العباسية، فيذكر المقرئ أن الخليفة الحافظ لدين الله: "خرج في جنازة وزيره بهرام الأرمي مرتديًا عمامة خضراء وثوبًا أخضر بغير طيلسان"،<sup>(٦٩)</sup> ولما تولى العاضد الخلافة بعد وفاة الفائز، أمر صاحب خزنة الكسوة أن يحضر له بدلة ساذجة (غليظة - خشنة) خضراء، وهي لبس ولي العهد إذا حزن على من تقدمه.<sup>(٧٠)</sup>

وتعد جنازة الخليفة الظافر بأمر الله من أكثر الجنائز التي حفلت بقدر كبير من صور الحزن ومظاهره، المبالغ فيها، فيذكر ابن سعيد: "ودخل طلائع القاهرة بأعلام سود وثياب سود حزنًا على الظافر، والشعور التي أرسلت إليه من القصر على رؤوس الرماح"،<sup>(٧١)</sup> ونلاحظ هنا أن جنازة الخليفة الظافر هي المثال الوحيد الذي ارتدى فيه السواد تعبيرًا عن الحزن، فتذكر أغلب المصادر - أيضًا - في تشييع جنازته أن الوزير الصالح طلائع بن رزيق، مشى حافيًا مرتديًا السواد، مكشوف الرأس وقد شق ثيابه، ففعل الناس مثله مجاهرين بالبكاء والنواح.<sup>(٧٢)</sup> ومن الجدير بالذكر: أن المؤرخين اعتبروا هذا الحدث نذير شئوم على الدولة الفاطمية، إذ لم تمض خمسة عشر عامًا حتى دخل العباسيون القاهرة بأعلامهم السوداء، وأزالوا الأعلام البيضاء شعار الدولة الفاطمية.

على الجانب الآخر كان خروج بعض النائح اللاتي احترفن هذا العمل، مظهرًا أكثر وضوحًا لإعلان الحزن للجميع، فكان بعضهن يخرجن خلف الجنائز يَنشدون المراثي والعديد بعبارات حزينة، وذلك لإلهاب حماس المشيعين وأقارب الميت،<sup>(٧٣)</sup> وأحيانًا ما كان يحضر في جنائز الخلفاء وأسراهم أكثر من نائحة<sup>(٧٤)</sup> تمشيًا مع مكانة المتوفى ومنزلته، فضلاً عما يمثله ذلك من التعبير عن الحزن تعبيرًا واضحًا للجميع. اشتهرت بعض النساء ممن مارسن هذا العمل في الجنائز وفوق المقابر أو في أيام العزاء، فكان منهن من عرفت بست الرياض، وأخرى عرفت بخسروان.<sup>(٧٥)</sup>

أما عن مراسم العزاء<sup>(٧٢)</sup> لمن مات من الرجال؛ حرصت الدولة على صبغها بصبغة أكثر رسمية، فكانت تُقام في إيوان القصر الخلافي نفسه لا فوق المقابر، كما كان يشارك في حضور العزاء جميع الطبقات على اختلافها، إذ يذكر المقرئ: "ولما مات العزيز حضر الناس للتعزية بالقصر، واجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم"<sup>(٧٣)</sup>. كذلك كان من عادات التعزية في الخلفاء وأسرهم، خلع العمائم عند الدخول إظهارًا للحزن والجزع، ففي وفاة الأمير عبدالله بن المعز جلس الخليفة المعز لدين الله للعزاء، ودخل الناس من غير عمائم ومنهم من شوه نفسه وأظهر الجزع الشديد، فكان المعز يُسكهم ويقول: اتقوا الله وارجعوا إلى الله<sup>(٧٤)</sup>. كذلك في وفاة الخليفة العزيز بالله يذكر ابن ميسر: "ودخل الناس بغير عمائم وأظهروا الجزع"<sup>(٧٥)</sup>.

كما جرت العادة في تقديم العزاء أن يفتتح بعض المعزين باب التعزية ببعض أبيات الشعر في رثاء المتوفى، فيذكر المقرئ في عزاء الخليفة العزيز بالله: "أفحم الناس بأجمعهم عن أن يوردوا في ذلك المقام شيئاً مما يليق بالوقت، ومكثوا مطرقين، فقام صبي من أولاد الأمراء الكتاميين وأنشد:

أنظر إلى العلياء كيف تضام ومآتم الأحساب كيف تقام  
خبرتني ركب الركاب ولم يدع للسفروجه تحل فأقاموا

فاستحسن الناس إيرادها، وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثي، فهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا، وأنشد كل واحد ما عمل في التعزية"<sup>(٧٦)</sup>. كذلك كان البعض يحرص على إلقاء خطبة للعزاء أولاً ثم يتبعها ببعض أبيات الرثاء من الشعر، مثلما فعل الشريف السيد الفاضل محمد بن حيدرة الحسيني في عزاء الخليفة الأمر بأحكام الله، فاستهل العزاء بخطبة طويلة أورد نصها المؤرخ عماد الدين إدريس (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م) منها: "فكانت الأيام به باسمه والليالي منيرة لا ظلما، فاختاربه تعالى له النقلة إلى زمرة آبائه الطاهرين، فأعلاه عن العالم السفلي وأسمى، فعين الجلال لفقده لا تدمع بل تدمأ، والشريعة حاسرة لمصابه لابساً حزنًا وهماً ..."<sup>(٧٧)</sup> ثم ختم خطبته بقصيدة في رثاء الأمر منها:

قدس الله ثوى بقصور المقس ملقى بها غدا مدفونا  
وعليه السلام ما دام يتلو كل عام من السنين ستينا  
أه منها مصيبة أصبح القلب بها معترًا ألما حزينا<sup>(٧٨)</sup>

ومن الملاحظ: أن ظاهرة إلقاء المراثي في مناسبة العزاء، ظلت مستمرة حتى مع وفاة آخر الخلفاء الفاطميين العاضد لدين الله، خاصة وأن موت العاضد لدين الله كان نهاية لعصر الخلافة الفاطمية في مصر، فيذكر ابن تغري بردي: "وكان لموته بمصر يوم عظيم إلى الغاية وعظم مصابه على المصريين إلى الغاية، ووجدوا عليه وجدًا عظيمًا لاسيما الرافضة، فإن نفوسهم كادت تزهد حزنًا لانقضاء دولة الرافضة من ديار مصر وأعمالها"<sup>(٧٩)</sup>. لذلك كان رثاء الشاعر عمارة اليميني (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م) - وهو من أنصار

على الجانب الآخر كان لهذه التربة بعض العادات والرسوم المرتبطة بزيارتها، إذ اعتاد الخلفاء زيارتها عند كل خروج من القصر أو أثناء عودتهم، للترحم على الأجداد والآباء والأبناء، فيذكر كل من ابن المأمون والمقرئ: "منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد إلى القصر، لابد أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه التربة، وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائمًا، وفي عيدي الفطر والأضحى، مع صدقات ورسوم تفرق"<sup>(٨٠)</sup>. وكانت الدولة تعهد لأحد الأمراء بالإشراف على هذه التربة وصيانتها من الأساتذة المحنكين ويدعى فنون، إذ يذكر المقرئ عند الحديث عن توزيع كسوة العام الجديد من دار الكسوة: "بدلة حريري لمكون متولي خدمة الجهة العالية مثله، فنون متولي خدمة التربة مثله"<sup>(٨١)</sup>.

وكانت من مراسم الدفن الخاصة بالخلفاء وأسرهم في هذه التربة، الإسراع بعملية الدفن حتى لو كان ذلك ليلاً، نظرًا لوجودها داخل القصر الخلافي نفسه، فقد تم دفن الخليفة العزيز بالله فيها ليلاً بعد العشاء الأخيرة<sup>(٨٢)</sup>. كما دُفن ابن صغير للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١٥هـ أيضًا ليلاً<sup>(٨٣)</sup> ومن الجدير بالذكر: أن مرحلة الدفن في المقابر كانت فرصة لزيادة مظاهر الحزن على المتوفى أكثر منها عند تشييع الجنازة، خاصة إذا ما كان المتوفى من النساء، فتذكر المصادر في وفاة السيدة العزيزية زوجة الخليفة العزيز بالله، صورًا عديدة من هذه المظاهر، كان أغلبها يعبر - بالدرجة الأولى - عن المكانة والثراء والتميز الطبقي عند الخاصة، كتغطية القبر نفسه بأنواع من الأقمشة الحريرية والجواهر<sup>(٨٤)</sup> أو الإكثار من عدد قراء القرآن للترحم على الميت، فضلاً عن حرص بعض الشعراء للحضور فوق المقابر لإلقاء قصائد الرثاء والتأبين، فيذكر ابن ميسر في وفاة السيدة العزيزية: "ودفع إلى الفقراء في سبعة أيام ألفاً دينار، وأعطى للقراء الذين قرأوا على قبرها ثلاثة آلاف دينار، ورثاها جماعة من الشعراء فأطلقت لهم الجوائز، وأجيز بعضهم بخمسائة دينار"<sup>(٨٥)</sup>.

على الجانب الآخر كان تفاعل النائحات في إظهار الحزن والتعبير عنه يزداد ويشد أيضًا فوق المقابر، بل كن يمكن فوق القبر لفترة طويلة تمتد إلى الشهر، فيصنف المقرئ في وفاة السيدة العزيزية: "وأقامت ابنتها المناحة على قبرها والقواد والغلمان والخدم بالثياب المسخمة"<sup>(٨٦)</sup> وعلى رؤسهم كرازي الصوف<sup>(٨٧)</sup> وأيديهم مشبكة على رؤسهم يصيحون: وا ستنا! وهم حفاة، فإذا توسطوا الطريق حفنوا حفنات من تراب وحثوها على رؤسهم ودخلوا، وأقاموا كذلك شهرًا كاملاً والعزير بالله يواصل زيارتها في كل يوم ويطعم الناس، ويفرق الأطلعمة على سائر الناس مع الحلوى"<sup>(٨٨)</sup> ويتضح من النص السابق أن جميع هذه الصور ما هي إلا تكريس لمفهوم التميز الطبقي لمن يموت من طبقة الخاصة، فضلاً عن تأكيد القدرة المالية لأهل المتوفى أمام الناس، والمتمثلة في استضافة المعزين بأعداد كبيرة لفترة طويلة تصل إلى الشهر، مع توزيع الصدقات والأطلعمة عليهم.

لو قدرت أفديك بجميع ما أملك لفعلت، وأمر بإجراء غلمانه على عاداتهم، وعتق جميع مماليكه، وأقام ثلاثاً لا يأكل على مائدته، ولا يحضرها من عاداته الحضور، وعمل على قبره ثوبان مثقلان، وأقام الناس عند قبره شهرًا، وغدا الشعراء إلى قبره، فرتاه مائة شاعر وأجيزوا كلهم".<sup>(٨٨)</sup>

وفي موضع آخر يفصل المقرئ ما قام به الخليفة العزيز بالله في عزاء الوزير ابن كلس قائلًا: "وألزم القراء بالمقام على قبره، وأجرى عليهم الطعام، وكانت الموائد تحضر إلى قبره كل يوم مدة شهر، وتحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة، فتقوم الجوارى بأقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فتسقى النساء الأشربة والسويق بالسكر، ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدة شهر، وبلغ العزيز أن عليه ست عشر ألف دينار دينًا، فأرسل بها إلى قبره، فوضعت عليه، وفرقت على أرباب الديون"،<sup>(٨٩)</sup> ويذكر ابن ظافر عن مراسم الحداد الرسمي على الوزير ابن كلس: "وانصرف - العزيز - من دفنه حزينًا وأغلق الدواوين ثمانية عشر يومًا، وعطل الأعمال أيامًا بعده".<sup>(٩٠)</sup> من الجدير بالذكر: أن إغلاق الدواوين ثمانية عشر يومًا، وهذا الرقم بالتحديد يشكل للشيعنة محور حياة وشرعية سلطان لدولتهم، حيث تصادف حادثة غدیر خم اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو الشهر الذي توفي فيه ابن كلس.

مما سبق يتضح: أن مراسم تجهيز الوزير ابن كلس تمت جميعها بتكليف وإشراف الخليفة نفسه، بدءًا من مراحل الغسل والتكفين وانتهاءً بالدفن والعزاء والحداد، كذلك كانت هذه المراحل تتسم جميعها بالمبالغة والتميز، نظرًا لمكانة هذا الوزير في الدولة وعند الخليفة، على الجانب الآخر - وللمرة الأولى - نلاحظ أن دفن الوزير ابن كلس لم يتم في القرافة بل في داره الخاصة التي عرفت بدار الوزارة ودار الديباج داخل باب النصر، بعد أن قام بعمل قبة خاصة بها لتكون مدفنًا له، فيذكر المقرئ: "اتفق أن الوزير عمر قبة أنفق عليها خمسة عشر ألف دينار، وآخر ما قال: لقد طال أمر هذه القبة ما هذه قبة هذه تربة! فكانت كذلك ودفن تحتها".<sup>(٩١)</sup> ونستنتج من النص السابق: أن بعض الوزراء في العصر الفاطمي كانوا يحرصون على إعداد مقابرهم وتزيينها بهذا الشكل، إظهارًا للتميز وتخليدًا لذكراهم كما فعل الخلفاء، حتى أصبحت هذه النماذج من المقابر (القباب) سمة من سمات مقابر الخاصة في العصر الفاطمي.<sup>(٩٢)</sup>

تعد الأسرة الجمالية من أشهر الأسر التي حظيت بمكانة كبيرة وأهمية في تاريخ الدولة الفاطمية وتاريخ الوزارة بها، إذ تولى ثلاثة من رجالها منصب الوزارة بدءًا من بدر الجمالي (٤٦٦-٤٨٧هـ/١٠٧٣-١٠٩٤م)، والأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧-٥١٥هـ/١٠٩٤-١١٢١م)، وأبو علي أحمد بن الأفضل الملقب بكتيفات (٥٢٥-٥٢٦هـ/١١٣٠-١١٣١م)،<sup>(٩٤)</sup> ورغم المكانة التي احتلها مؤسس هذه الأسرة الوزير بدر الجمالي في تاريخ الدولة، إلا أن المصادر لم تشر إلى أي تفاصيل

الفاطميين ومؤيديهم - أبلغ ما قيل في عزاء الخليفة العاضد والدولة الفاطمية معًا، إذ قال:  
أسفى للملكِ عاضدي عطلت حجراته بعد الندى والباس  
أخذت بنان العز من أمواله ورجاله بمخاتق الأنفاس  
وعسى الليالي أن ترد زمانكم لدنا كعود البانة المياس  
أبني على والبتول وأحمد وكواكب الدنيا وخير الناس<sup>(٩٠)</sup>

ومن الجدير بالذكر: أن مدة عزاء الرجال كانت أقل في وقتها من عزاء النساء، إذ لم تكن تتجاوز الثلاثة أيام، ففي عزاء الخليفة الحاكم بأمر الله يذكر المقرئ: "وأقيمت المآتم على الحاكم في القصور والقاهرة ثلاثة أيام"،<sup>(٩١)</sup> كذلك كان يصحب مراسم العزاء بعض الإجراءات التي تعتمد إليها الدولة في بعض الأحيان، كتعطيل الدواوين أو إغلاق الأسواق، لكي يتمكن الجميع من أداء واجب العزاء، فضلاً عما يمثله ذلك من إعلان رسمي للحداد على المتوفي.

### ثانياً: كبار رجال الدولة

احتل كبار رجال الدولة من الوزراء والقواد والأمراء ورجال الدين مكانة كبيرة في النظام السياسي والإداري للدولة الفاطمية، وانعكس ذلك بدوره على المراسم والتجهيزات الخاصة التي أجريت لهم عند موتهم، إذ كانت مراسم تجهيزهم ودفنهم لا تقل عن المراسم التي أجريت للخلفاء وأسرهم، بل كان بعض الخلفاء يشرفون بأنفسهم على هذه المراسم، تبعًا لمكانة المتوفي وأهميته لديهم.

كان الوزراء على رأس كبار رجال الدولة الذين حظوا بمكانة ومنزلة لدى الخلفاء، فكان تجهيزهم يتم بعناية الخلفاء أنفسهم وإشرافهم، ويعد الوزير يعقوب بن كلس (ت ٣٨٠هـ/٩٩١م)،<sup>(٩٢)</sup> أحد الوزراء الذين اعتنى بمراسم تجهيزهم ودفنهم الخليفة العزيز بالله، فأوضحت المصادر صورًا عديدة عند الحديث عن مراسم تجهيزه ودفنه والحداد عليه، إذ ذكر المقرئ: "أرسل العزيز بالله إلى داره الكفن والحنوط، وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان ... وكفن في خمسين ثوبًا بين مثقل - يعني منسوجًا بالذهب - ووشى<sup>(٩٣)</sup> مذهب وشرب ديبقي<sup>(٩٤)</sup> مذهبًا وحقه كافور وقاروتي مسك، وخمسين مئًا<sup>(٩٥)</sup> ماء ورد، وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار".<sup>(٩٦)</sup>

أما عن مراسم الجنائز والدفن فيكمل المقرئ: "وخرج مختار الصقلي وعلي بن العداس والرجال بين أيديهم ينادون: لا يتكلم أحد ولا ينطق، وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزارة التي عرفت بدار الديباج،<sup>(٩٧)</sup> ثم خرج العزيز من القصر على بغلة، والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه، حتى وصل إلى داره، فنزل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب مثقل، ووقف حتى دفن بالقبة التي كان بناها وهو يبكي، ثم انصرف، وسمع العزيز وهو يقول: واطول أسفى عليك يا وزير، والله

ثاني شوال [ يعني سنة خمس عشرة وخمسمائة ] خرج التابوت بالجمع الذي لا يحصى، والناس بأجمعهم رجّالة، وليس وراءهم راكب إلا الخليفة بمفرده وهو ملثم. فلما خرج التابوت من بلد مصر أمر الخليفة بركوب القائد والمرضى ولد الأفضل، وذكر أن الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة ركب حملاً، فلما وصلت الجنازة إلى باب زويلة ترجل القائد والمرضى ومشياً، وبعث الخليفة خواصه إلى أخويه أبي الفضل جعفر وأبي القاسم عبدالصمد، وأمرهم إذا وصل التابوت إلى باب الزهومة أن يخرجوا بغير مناديل، بعمائم صغار وطبائس فإذا قضيا ما يجب من حق سلام الخليفة سلما على القائد أبي عبدالله بمثل ما كانا يسلمان على الأفضل، ويمشياً معه وراء التابوت، فاعتمد ذلك، فاستعظم الناس هذه الحالة والمكرامة، ولم يزالا مع الناس وراء التابوت إلى أن دخل من باب العيد، فلما صار التابوت في وسط الإيوان هم الخليفة بأن يترجل، فسارع إليه القائد والمرضى وصاح الناس بأجمعهم: العفو يا أمير المؤمنين، عدة مرار، فترجل الخليفة على الكرسي، وصلى عليه، ورفع التابوت فمشى وراءه، وركب الخليفة الفرس على ما كان عليه، ونزل التربة ظاهر باب النصر، ووقف على شفير القبر إلى أن حضر التابوت واستفتح ابن القارح المغربي وقرأ: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولكم وراء ظهوركم" الأنعام، الآية (٩٤)، فوعدت من الناس موقفاً عظيماً، وبكوا وبكى الخليفة، وهم بتزول القبر ليلحده بيده، ثم أمر الداعي فنزل وألحده والخليفة قائم إلى أن كملت مواراته، ثم ركب من التربة والناس بأجمعهم بين يديه إلى القصر".<sup>(٩٦)</sup>

ونلاحظ من النص السابق - أيضاً - عدة أمور منها:

- ١- حرص الخليفة على التلثم عند استقبال جنازة الأفضل، وذلك إظهاراً للحزن وتأكيداً، وهو ما يشير إلى أن استخدام اللثام كان من عادات الحزن - أيضاً - لدى الخلفاء.
- ٢- حرص الخليفة على إجبار المشيعين على خلع العمائم الكبيرة، وارتداء عمائم أقل حجماً، وذلك لتوحيد مظاهر الحزن على الأفضل.
- ٣- اعتماد صلاة الجنازة على المتوفى من كبار رجال الدولة، في إيوان القصر الخلافي، لا في المسجد، وهو مظهر من مظاهر سيادية الدولة في المراسم.
- وفيما يختص بمراسم العزاء بعد الدفن، فيذكر ابن المأمون تفاصيلها كذلك قائلاً: "وأخرج من قاعة الفضة بالقصر ثلاثون حَسَكَةً، وثلاثون بخوراً مكمل، وخمسون مثقال ند وعود، وشمع كثير، فأشعلت الشموع إلى أن صلى الصبح وأطلق البخور، واستقر جلوس الناس، فصلى القاضي بالناس، وفتح باب مجلس الأفضل المعلق بالستور القرقوبي<sup>(٩٧)</sup> الذي لم يكن حظه منه إلا جوازه عليه قتيلاً ورفع الستور، وجلس الخليفة على المخاد الطرية التي عملت في وسطه، وسلم على الناس على منازلهم، وتلى القرآن

تخص المراسم والإجراءات التي تمت في تجهيزه عند الوفاة، إذ اقتصر المعلومات على ذكر مكان دفنه فقط، فيذكر المقرئ: "مات أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة سبع وثمانين وأربع مائة، فدفن خارج باب النصر بحري المصلى، وبنى على قبره تربة جليلة وهي باقية إلى اليوم"<sup>(٩٥)</sup>، ويبدو أن هناك عدة أسباب وراء إغفال المصادر ذكر التجهيزات التي تمت له، منها أنه توفي في حياة الخليفة المستنصر بالله الذي لم يكن يحفل بالمراسم أو التجهيزات الخاصة بالموت والجنائز، خاصة مع تقدم السن به، كذلك كان تولى الأفضل بن بدر الجمالي للوزارة في آخر أيام حياة أبيه سبباً في جعل المؤرخين يركزون الأضواء على الابن أكثر من أبيه، خاصة وأن بدر الجمالي مات عن عمر ناهز الثمانين وبعد مرض.<sup>(٩٦)</sup>

أما الأفضل بن بدر الجمالي فقد أفاضت أغلب المصادر في الحديث عن تجهيزه بعد موته في كل المراحل خاصة وأنه مات مقتولاً،<sup>(٩٧)</sup> فيذكر المقرئ: "ووقع حينئذ الاهتمام بتجهيز الأفضل، وتقدم إلى زمام القصور بإخراج ما قد مازجه عرق الأئمة، وتقدم إلى ربحان متولي بيت المال بإخراج ما يجب إخراجه برسم المأتم، فمضياً، وتقدم إلى حسام الملك بإعلام الأمراء والأجناد والشهود والقضاة والمتصددين والمقربين وبنى الجوهرى الوعاظ وغيرهم لحضور الجنازة وتلاوة القرآن، فعاد زمام القصور ومتولي بيت المال ومعهما عشرون صينية ملفوفة في عراض ديبقي بياض مملوءة صندلاً مطحوناً، ومسكاً وكافوراً وحنوطاً وقطناً، وفي صدر الآخر منديل ديباج فيه ما رسم بإحضاره من ملابس الخلفاء وطبائسهم، ووصلت أيضاً الموائد على رؤس الفراشين، وهي مائة شدة، صحية متولي المائدة الأمرية، فمد السماط بين يدي الخليفة، ومد سماطان أحدهما بالقاعة وهو برسم الأمراء، والآخر برسم القاضي والداعي والشهود والمقربين والوعاظ والمؤمنين، وحُمل إلى الجهات الأفضليات شيء كثير، فلما انقضى معظم الليلة الثاني من شوال، تقدم الخليفة بإحضار داعي الدعاة، ولي الدولة ابن عبد الحقيق، وأمره بغسل الأفضل على ما يقتضيه مذهبه، وكُفن بما حضر من القصر، وأخرج للداعي بدلتان مكملتان، مذهبة وحرير، عوضاً عما كان على الأفضل من ثياب الدم، فإنها لم تنزع عنه، وعند كمال غسله دفع للداعي ألف دينار".<sup>(٩٨)</sup>

ويتضح من خلال النص السابق عدة أمور مهمة، منها:

- ١- حرص بعض الخلفاء على تكريم بعض الوزراء بتكفيهم ببعض ملابسهم الخاصة تشريعاً لهم.
- ٢- عدم نزع ثياب المقتول باعتباره شهيداً، إذ اكتفى - على ما يبدو - بوضع الكفن فوق ثياب الأفضل التي قتل فيها.
- ٣- الحرص على أن يتم الغسل تبعاً للمذهب أو الاعتقاد الديني الخاص بالمتوفى.
- ٤- منح الغاسل (داعي الدعاة) بعد الغسل بدلتين عوضاً عن الملابس التي لم تنزع من على الأفضل، والتي كان من المفترض في الأحوال العادية أن يحصل عليها، فضلاً عن دفع مبلغ مالي كبير، نظراً لمكانة المتوفى ومنزلته.
- أما فيما يختص بمراسم تشييع جنازة الأفضل، فيكمل ابن المأمون تفاصيلها قائلاً: "فلما كان في الثالثة من نهار يوم الثلاثاء

من قتله. إذ لم تكن هذه المبالغة في إعداد هذه المجموعة من المراسم وليدة الصدفة، وإنما هي محاولة من قبل الخليفة في إبعاد الشبهة عنه، وإظهاره للخاصة والعامّة معاً بمظهر الأسف على مقتل وزيره.

على الجانب الآخر لم تختلف - كثيراً - مراسم موت بعض الوزراء وبنائهم من غير المسلمين عن مراسم موت الوزراء المسلمين وبنائهم، إذ حظي بعض الوزراء النصارى - أيضاً - باهتمام بعض الخلفاء عند تشييعهم ودفنهم وتقديرهم، تبعاً لمكانتهم وقربهم من الخلفاء أو تقديرًا لدورهم في خدمة الدولة، إذ يذكر كل من ابن ميسر والمقريزي عن جنازة الوزير بهرام الأرمني المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠،<sup>(١٠٧)</sup> في خلافة الحافظ لدين الله: "فلما مات في العشرين من ربيع الآخر حزن عليه الحافظ كثيرًا ظهر بسببه على القصر غمه، وأمر بإغلاق الدواوين ثلاثة أيام حدادًا عليه، وأحضر بطرك الملكية وأمره أن يجهز بهرام، فأخرج عند صلاة الظهر في تابوت عليه الديباج وحوله النصارى يبخرون باللبان والصابر والسندروس<sup>(١٠٨)</sup> والعود، وخرج الناس كلهم مشاةً بحيث لم يتأخر أحد من أعيان الوقت عن جنازته. وخرج الخليفة على بغلة شهباء وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان، فسار خلف التابوت، وسار والناس تبكي والإقيساء يعلنون بقراءة الإنجيل والحافظ على حالته إلى دير الخندق بظاهر القاهرة، فنزل الخليفة عن بغلته وجلس على شفير القبر وبكى بكاءً شديدًا"<sup>(١٠٩)</sup>.

ويمكن من خلال النص السابق أن نستنتج بعض الملامح الخاصة عن مراسم موت الوزراء النصارى وبنائهم، إذ كان من المتبع أن يقوم بطربك الطائفة التابع لها الميت بتولي مرحلة الغسل والتكفين، باعتباره رجل الدين الأول، كما نلاحظ انتشار ظاهرة تغطية تابوت المتوفى بأنواع الحرير الفاخر كالديباج، كمظهر من مظاهر التميز الطبقي - عند الخاصة - مثلما كان يحدث مع الوزراء المسلمين، كما كان حضور الخليفة قاصرًا - في هذه الحالات - على حضور الجنازة وتشيعها، إذ أن اختلاف الديانة كان يقف حائلًا أمام حضوره للصلاة على الميت داخل الكنيسة. ومن الملاحظ - أيضاً - أن تشييع جنازة النصارى كان يلازمه إشعال أفخر أنواع البخور والأخشاب العطرية، كذلك كان ارتداء الخليفة لزي الحزن باللون الأخضر أثناء تشييع الجنازة، مظهرًا - رسميًا - من مظاهر إبداء الحزن على الوزراء النصارى، كما كان مع الوزراء المسلمين، فضلاً عن إغلاق الدواوين عدة أيام حدادًا عليهم، أما فيما يختص بالدفن فقد جرت العادة مع كبار الشخصيات من النصارى كالوزراء، أن يتم الدفن في أحد الأديرة تمشيًا مع مكانتهم. ويرغم الاهتمام بمراسم موت الوزراء وبنائهم من قبل الدولة، إلا أن هناك بعض الحالات التي لم تلق الاهتمام أو التكريم بالشكل اللائق، خاصة في حالة الصراع والتنافس على المنصب، أو غضب الدولة على أحدهم، فيذكر المقريزي عن الوزير أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاح المتوفى عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م: "حققت أم

العظيم، وتقدمت الشعراء في رثائه إلى أن استحق الختم فختم، ثم خرج القائد والأمراء إلى التربة فكان بها مثل ما كان بالدار من الآلات والبخور، وعُمل في اليوم الثاني كذلك"<sup>(١١٠)</sup>.

ونستنتج من خلال النص السابق؛ أنه كان يُقام عزاء في اليوم التالي للدفن يُعرف بالصَّبحة، يجتمع فيه الناس للاستماع إلى تلاوة آيات القرآن والترحم على الميت، وكان يتكرر هذا العزاء - أيضاً - في اليوم الثالث للوفاة ويعرف بالثالث<sup>(١١١)</sup>، كذلك كان يتم ختم القرآن عدة مرات ترحمًا على الميت، وذلك بمشاركة عدد كبير من القراء والوعاظ في القراءة، فقد بلغ عدد ختمات القرآن في عزاء الأفضل أكثر من خمسين ختمة<sup>(١١٢)</sup>، إذ يذكر ابن ميسر: "وكان عدة الوعاظ والفُراء والمنشدين عند عزائه أربعمئة وعشرين شخصًا، فخرج أمر الخليفة أن يعطي كل واحد منهم ثمانين دينارًا، للصغير مثل الكبير، فقال ابن أبي قيراط: يا مولانا هذا مال كثير، فقال: لا يُرد أمرنا، فهذا من بعض حقه علينا، فجاء مبلغ ما دفع نحو أربعة وثلاثين ألف دينار"<sup>(١١٣)</sup>. وكان يُقام عزاء آخر في نهاية الشهر فوق القبر، عرف بعزاء تمام الشهر، فيذكر ابن المأمون: "وفي السادس والعشرين من شوال عُمل تمام الشهر على تربة الأفضل، كما عُملت الصَّبحة والثالث، فلما انقضى الختم وانصرف الناس ركب الخليفة بموكبه، ونزل إلى التربة، وترحم عليه وعاد"<sup>(١١٤)</sup>.

على الجانب الآخر - وتتممةً للمراسم - كانت الدولة تحرص على إصدار سجل رسمي للتعزية يخرج من دار الإنشاء، ويفرق في نسخ تتلى على رؤوس الأَشهاد بسائر البلاد، فقد أمر الخليفة الأمر متولي المعونة بمصر (الفسطاط) بقراءة سجل التعزية في وفاة الأفضل على منبر الجامع العتيق جاء فيه: "قد علمتم ما أحدثته الأيام بتصاريفها، وجرت به الأقدار على عاداتها ومألوفها من فقد السيد الأجل الأفضل ونعوته - قدس الله روحه، ونور ضريحه، وحشره مع مواليه الطاهرين الذين جعلهم أعلام الهدى ومصابيحهم - الذي كان عماد دولة أمير المؤمنين وخمائل أئقالتها، وعلى يديه وحسن سيرته اعتمادها ومعلوها، وتخطى الحمام إليه، واخترام المنية إياه وتسلطها عليه، وما تدارك الله الدولة به من حفظ نظامها، واستتار أمورها بعد هذا الفادح العظيم والتنامي؛ وما رآه أمير المؤمنين من تهذيبه الأمور بنظره السعيد، ومباشرته إياها بعزمه الشديد ورأيه السديد، واهتمامه بمصالح الكافة، وإسباغ ظل الإحسان عليهم والرفقة، حتى أصبحت الدولة الفاطمية بذلك ظليلة المناكب، منيرة الكواكب، محروسة الأرجاء والجوانب"<sup>(١١٥)</sup>.

مما سبق يتجلى مقدار المبالغة في المراسم الخاصة بموت الوزير الأفضل وجنازته وعزائه، وحرص الخليفة الأمر بأحكام الله على الإشراف على جميع المراحل بنفسه، فضلاً عن النفقة الزائدة في إقامة العزاء الذي امتد إلى الشهر، أنفق فيه نحو أربعة وثلاثين ألف دينار، كذلك ما تبع ذلك من إصدار سجل رسمي للتعزية وقراءته في سائر البلاد، وهو ما يعد - في رأينا - دليلاً دامعاً على الدور الذي لعبه الخليفة نفسه في التخلص من الأفضل بتحريض



في نفوس الناس، فقد رثاه الشاعر عمارة اليميني بقصيدة طويلة،  
يصف فيها جنازته ونقله إلى قبره منها:

خربت ربوع المكرمات لراحل      عُمرت به الأجداد وهي قفار  
نعش الجدود العاثرات مشيع      عُمت برؤية قدرها الأبصار  
شخص الأنام إليه تحت جنازة      خفضت برفعه قدرها الأقدار  
وكأنها تابوت موسى أودعت      في جانبه سكينه ووقار  
أوطنته دار الوزارة ريث ما      بنيت لنقلته الكريمة دار  
وتغاير الهرمان والحرمان في      تابوته وعلى الكريم يغار  
أثرت مصرًا منه بالشرف الذي      حسدت قرافتها له الأمصار<sup>(١٢٠)</sup>

يتضح مما سبق؛ أن مراسم موت الوزراء وبنائهم بدأت  
تتضاءل مع نهاية الدولة الفاطمية، فضلاً عما أصاب المنصب  
نفسه من ضعف واضمحلال، حتى أن الوزير أسد الدين شيركوه  
الذي تولى الوزارة في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة  
(٥٦٤هـ/١١٦٨م)، لم تخرج له جنازة عند موته، إذ يذكر المقرئ:  
"مات أسد الدين بعد أن استقر في الوزارة ثلاثة وستين يوماً، يوم  
الأحد الثالث من جمادي الآخر، بخناق تولد له من إكثاره أكل  
اللحوم الغليظة، ودفن في الدار فلم تخرج له جنازة"، كذلك لم  
تشر المصادر إلى أي تفاصيل فيما يختص بتجهيزه أو عزائه، وهو ما  
يؤكد أن ضعف مراسم الموت والجنائز واضمحلالها عند طبقة  
الخاصة، جاء موازياً لضعف النظام السياسي مع نهاية الدولة  
الفاطمية.

إذا كان الوزراء قد احتلوا أهمية ومكانة جعلت الدولة تهتم  
بمراسم تجهيزهم ودفنهم، فقد احتلت - أيضاً - بعض  
الشخصيات من طبقة الخاصة من القواد والأمراء ورجال الدين  
هذه المكانة، إذ حرصت الدولة على الاهتمام بمراسم تجهيزهم،  
وشارك الخلفاء في تشييعهم أو دفنهم. ويُعد القائد جوهر الصقلي  
من أبرز الشخصيات العسكرية التي اهتمت الدولة بتجهيزهم عند  
موتهم سنة (٣٨١هـ/٩٩١م)،<sup>(١٢١)</sup> فيذكر المقرئ: "وتوفي يوم الاثنين  
لسبع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، فبعث  
إليه العزيز بالحنوط والكفن، وأرسل إليه الأمير منصور بن العزيز  
أيضاً الكفن، وأرسلت إليه السيدة العزيزية الكفن، فكفن في  
سبعين ثوباً ما بين مُثقل ووشي مذهب، وصلى عليه العزيز بالله،  
وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله في مرتبة أبيه، ولقبه بالقائد  
ابن القائد"،<sup>(١٢٢)</sup> ويبدو من النص السابق أن مكانة جوهر الصقلي  
ومنزله، وما قدمه لإرساء قواعد الدولة الفاطمية، جعلت ثلاث  
شخصيات تتنافس في إرسال الكفن الخاص به، حتى فاقت أعداد  
كفنه ما كفن به الخلفاء والوزراء فيما بعد، وحسب ما أمدتنا به  
المصادر فيما يخص الكفن.

وبرغم إغفال المصادر لذكر تفاصيل مراسم جنازته أو عزائه، إلا  
أن بعضها ذكر أنه عند وفاته قام جميع شعراء الدولة برثائه أبلغ  
رثاء،<sup>(١٢٣)</sup> كذلك انفرد ابن إياس دون غيره من المؤرخين بذكر المكان  
الذي دفن فيه جوهر دون أن يعلن عن مصدره في هذا الخبر،  
فقال: "ولما مات الأمير جوهر القائد دفن بالقرافة الكبرى"،<sup>(١٢٤)</sup> كما

المستنصر على الوزير أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي بسبب  
قتل أبي سعيد، ومازالت به حتى صرفته عن الوزارة واعتقلته  
بخزانة البنود<sup>(١٢٥)</sup>... واتفق أنه لما قبض عليه وسُجن بخزانة البنود  
وأمر بقتله بها، حفرت له حفرة ليواري فيها، فظهر للفعلة عند  
الحفر رأس، فلما رفع سئل عنه الفلاحي فقال هذا رأس ابن  
الأنباري،<sup>(١٢٦)</sup> وأنا قتلته ودفن في هذا الموضع وأنشد:  
"رُب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزامم الأضداد"<sup>(١٢٧)</sup>

ونستنتج من النص السابق؛ أن الوزير الفلاحي تم التخلص منه  
ودفنه بخزانة البنود، دون أن تشير المصادر إلى أي تفاصيل تخص  
غسله أو تكفينه، أما الوزير اليازوري (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)،<sup>(١٢٨)</sup>  
فيذكر ابن ميسر والمقرئ عنه: "وضربت عنقه في ليلة الثاني  
والعشرين من صفر، وحملت رأسه مع طاهر إلى القاهرة (من تيسس)  
وطرحت جثته على مزبلة ثلاثة أيام، ثم ورد الأمر بتكفينه، فكفن  
بعد أن غُسل، وحُطت بحنوط كثير، وحمل ليلاً ودفن وقد وضع  
رأسه مع جثته"،<sup>(١٢٩)</sup> كذلك عند موت الوزير ضرغام سنة  
(٥٥٩هـ/١١٦٣م)، يذكر المقرئ: "وقتل عند مسجد تبر خارج  
القاهرة، وقتل أخوه الآخر عند بركة الفيل، فصار جسد ضرغام  
ملقى يومين، ثم حمل إلى القرافة ودفن بها".<sup>(١٣٠)</sup> وهكذا كان  
تخلص الدولة من بعض الوزراء، يؤدي إلى عدم الاهتمام بتجهيزهم  
أو دفنهم بالطريقة اللائقة، خاصة إذا كانوا مصدر قلق أو شغب  
للدولة، بل كانت الدولة تعتمد في بعض الأحيان إلى التمثيل بهم، أو  
التخلص منهم بالدفن بعد القتل مباشرة في خزانة البنود، لكي لا  
يُعلم لهم قبور، أو أن يتم دفنهم ليلاً في مقابر العامة دون جنازة.

وعلى الرغم من أن الوزير طلائع بن رزيك (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)  
تم التخلص منه بتدبير من الدولة، إلا أن الخليفة العاضد لدين  
الله، شارك في تشييعه أثناء نقله إلى تربته الخاصة بالقرافة فيما  
بعد، بل وأقام العزاء فيه في أماكن عديدة في الدولة لمكانته في  
الناس وحُسن سيرته، فيذكر ابن تغري بردي: "ثم ثقل طلائع هذا  
على العاضد، فدبر قتله، فلما كان عاشر شهر رجب سنة ست  
وخمسين وخمسمائة حضر الصالح طلائع إلى قصر الخلافة، فوثب  
عليه باطني فضربه بسكين في رأسه، ثم ترقوقته فحمل إلى داره،  
وقُتل الباطني ومات الملك الصالح طلائع بن رزيك من الغد، فحزن  
الناس عليه لحُسن سيرته، وأقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة  
ومصر"،<sup>(١٣١)</sup> ثم يكمل ابن خلكان: "وكان قد دفن بالقاهرة فنقله  
ولده العادل من دار الوزارة التي دفن بها... وكان نقله في تاسع عشر  
صفر سنة سبع وخمسين في تابوت وركب خلفه العاضد إلى تربته  
التي دفن بها بالقرافة الكبرى".<sup>(١٣٢)</sup>

من الجدير بالذكر؛ أن تربة طلائع بن رزيك التي دفن فيها فيما  
بعد، كان يجاورها المسجد الذي عمره بالقرافة، إذ يذكر المقرئ:  
"وتقع تربته في الجهة الغربية لجامع الأولياء بالقرافة الكبرى"<sup>(١٣٣)</sup>  
ملاصقةً له،<sup>(١٣٤)</sup> ونظرًا لما كان يتمتع به طلائع بن رزيك من محبة

الخاصة لتستخدم كفنًا، تكريماً للمتوفى إذا كان من الأمراء أو القواد.

٤- تشير مراسم جنازة الأمير نور الدولة أبي شجاع ٥١٢هـ/١١١٨م، والأمير المظفر جعفر بن بدر الجمالي ٥١٥هـ/١١٢١م، إلى ازدياد اهتمام الدولة في عصر الخليفة الأمر بأحكام الله بمراسم موت رجال الدولة وجنازتهم، خاصة إذا ما استرجعنا - أيضاً - المراسم التي تمت عند وفاة الوزير القائد الأفضل بن بدر الجمالي.<sup>(١٣٤)</sup>

من الجدير بالذكر؛ أن بعض أطباء الخلفاء من النصارى، حظيت جنازتهم ومراسم دفنهم باهتمام الدولة، فيذكر كل من المقرئ وابن أبي أصيبعة عن جنازة طبيب الخليفة العزيز بالله، أبي الحسن سهلان بن كيسان: "خرجت جنازته من داره إلى كنيسة الروم بقصر الشمع وقد غطى تابوته بثوب منسوج بالذهب، وحوله حملة الشموع يحملون خمسين شمعة وخلف التابوت يسير المطران والأطباء وعدد كبير من النصارى، وبعد أن تمت الصلاة عليه في الكنيسة طوال الليل دفن في دير القصير"<sup>(١٣٥)</sup>، كذلك في وفاة طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله، يعقوب بن نسطاس يذكر المقرئ: "فحمل إلى الكنيسة في تابوت، وشق به البلد، ثم أعيد إلى داره فدفن بها، وسائر أهل الدولة في جنازته، ومعه شموع كثيرة تتقد، ومدخن عدة فيها بخور."<sup>(١٣٦)</sup>

وعلى الجانب الآخر، لم يحظ بعض رجال الدولة ممن تولوا بعض الوظائف المهمة، بأي مراسم خاصة في تشييعهم أو دفنهم، بل كان الناس يتعمدون عدم المشاركة في جنازتهم أو الصلاة عليهم، فالأمير ذخيرة الملك جعفر بن علوان متولي شرطة القاهرة وحسبها، لم يشارك أحد في جنازته لعسفه وظلمه، فيذكر ابن المأمون والمقرئ: "وبنى المسجد الذي ما بين الباب الجديد إلى الجبل الذي هو به معروف، ويسمى (مسجد لا بالله) بحكم أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم، فيحلفون ويقولون له: (لا بالله) وقد أتى بالأمراض الخارجة عن المعتاد، ومات بعد ما عجل الله له ما قدمه، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه، وذكر في حالي غسله وحلوله بقره ما يعبد الله كل مسلم من مثله"<sup>(١٣٧)</sup>، كذلك كان الحال نفسه مع متولي دواب الخليفة الحاكم بأمر الله، الشريف العباسي الرائض، إذ يذكر المسيحي والمقرئ في وفاته: "وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان، توفي الشريف العباسي الرائض ... وكان شريفاً، ونودي على جنازته في الأسواق بمصر فلم يحضر أحد للصلاة عليه ... فلم يشهد أحد جنازته بغضاً له."<sup>(١٣٨)</sup>

وعلى ذلك يمكن أن نستنتج؛ أن بغض الناس وكراهيتهم لبعض الشخصيات من موظفي الدولة ومعرفة الدولة لذلك، كان يؤدي إلى عدم الاهتمام بتجهيز أي مراسم خاصة لهم عند موتهم، بل كان يتم المناداة على جنازتهم لدعوة الناس للمشاركة في تشييعهم، فلا يستجيب الناس، لسوء سيرتهم وسلوكهم مع الرعية.

ذكر على إبراهيم حسن أن المقبرة التي كانت بالجهة الشمالية للأزهر إلى وقت قريب، والتي يزعم البعض أن جوهر الصقلي دفن فيها، هي مقبرة جوهر القنباقي من أمراء المماليك، وإليه تنسب المدرسة الجوهريّة.<sup>(١٣٦)</sup>

أما الأمير سيف الدولة نادر الصقلي<sup>(١٣٧)</sup> المتوفى سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)، أي في العام التالي لوفاة جوهر الصقلي فحظي باهتمام العزيز بالله، إذ يذكر المقرئ: "فبعث إليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباح مثقل"<sup>(١٣٨)</sup>، دون أن يذكر أي تفاصيل تخص جنازته أو عزائه، بينما يذكر بعض التفاصيل المهمة عند الحديث عن وفاة الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك المتوفى سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)، وهو والد القائد والوزير أبي عبدالله بن فاتك البطانجي،<sup>(١٣٩)</sup> إذ قال: "فأخرج له الأفضل من ثيابه بدلة حريرية وقارورة كافور وشققاً مزدي ديبقي، ونصافي،<sup>(١٤٠)</sup> وطيباً وبخوراً وشمعاً، وحُمل من القصر أضعاف ذلك، وخرج الأفضل والأمراء، وجميع حاشية القصر إلى الإيوان، فخرج الخليفة وصلى عليه، ثم أُخرج فدفن، وتردد الناس إلى التربة، وفرقت الصدقات إلى تمام الشهر."<sup>(١٤١)</sup>

كما حظي الأمير القائد المظفر جعفر بن بدر الجمالي - أخو الوزير الأفضل - بالاهتمام اللائق به، فيذكر ابن عبد الظاهر: "توفي في جمادى الآخر سنة خمس عشرة وخمس مائة، فأظهر أخوه الحزن وأتى إلى داره وأحضرت الجنازة إلى الإيوان وخرج الخليفة الأمر بزي الحزن، فصلى عليه وشيعة إلى باب الإيوان، وعزم على الخروج مع جنازته فقال الأفضل: يا مولانا، هذا مدخوري فرده، ودفن عند قبر أبيه واشتغل بعمل عزائه اشتغالاً عظيماً"<sup>(١٤٢)</sup>، وقد حدد المقرئ موضع قبره قائلاً: "رحبة جعفر، هذه الرحبة بحارة برجوان ... موضع قبر جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي، والمكي بأبي محمد الملقب بالمظفر المنسوب إليه دار المظفر بحارة برجوان."<sup>(١٤٣)</sup>

ونستنتج مما سبق عدة أمور منها:

- ١- أن مراسم موت بعض القادة وجنازتهم كانت تقتصر - في بعض الأحيان - على إرسال الكفن من قبل الخليفة أو الصلاة عليهم دون ذكر لأي تفاصيل تخص الجنازة وتشيعها أو العزاء والحداد.
- ٢- كانت بعض التفاصيل الخاصة بمراسم موت بعض القواد وجنازتهم تزداد أو يهتم بها، عندما يكون الوزير المتولي من أرباب السيواف، كحالة الأمير نور الدولة أبي شجاع والأمير المظفر جعفر بن بدر الجمالي، في عهد الوزير الأفضل، فقد ذكرت في وفاة الأمير نور الدولة تفاصيل دقيقة لنوع الكفن، وما استخدم من طيب وحنوط للغسل، فضلاً عن ذكر مشاركة الخليفة والوزير والأمراء وحاشية القصر في تشييعه ودفنه وتفريق الصدقات على قبره.
- ٣- كان بعض الوزراء يتشبهون بالخلفاء في إرسال بعض ملابسهم

#### الغُسل:

- ١- كان المتبع أن يتولى غُسل الخلفاء وأسرههم أو الوزراء والقواد، كباررجال الدين في الدولة كقاضي القضاة أو داعي الدعاة.
- ٢- جرت العادة أن تخرج بعض المواد العطرية المستخدمة في عملية الغسل، كالكاפור والمسك وماء الورد من خزائن القصر، وبكميات كبيرة تتناسب ومكانة المتوفى ومنزلته.
- ٣- كان المتبع في تغسيل الخلفاء وأسرههم أو الوزراء والقواد، أن يأخذ الغاسل ما تحت المتوفى من الثياب، عوضاً عن أجره.
- ٤- كانت في بعض الحالات لا تنزع ثياب المتوفى إذا كان مقتولاً، ويتم الغسل فوق الثياب، كما حدث في حالة الوزير الأفضل بن بدرالجمالي.

#### الكفن:

- ١- كانت أكفان الخلفاء وأسرههم وكباررجال الدولة تخرج من الخزانة الخاصة بالقصر الخلافي.
- ٢- كان الكفن يتناسب في قيمته وأعداده مع مكانة المتوفى ومنزلته، فتراوحت أعداد أكفان الخلفاء أو أسرههم ما بين الخمسين والستين ثوباً.
- ٣- حرص بعض الخلفاء على منح بعض ملابسهم الخاصة، لتكون كفنًا لبعض رجال الدولة من الوزراء والقواد، تكريمًا لهم وإظهارًا لتميزهم.
- ٤- فاقت أعداد أكفان بعض الشخصيات أعداد أكفان الخلفاء، كالقائد جوهر الصقلي التي بلغت أكفانه سبعين ثوباً.
- ٥- شكل نسيج الحرير ملمحًا مهمًا في أكفان طبقة الخاصة، رغم كونه يخالف الشريعة الإسلامية.

#### صلاة الجنائز:

- ١- كانت الصلاة على الخلفاء أو أسرههم تُقام - دائمًا - في الإيوان الكبير بالقصر الخلافي، بإمامة الخليفة أو قاضي القضاة أو داعي الدعاة.
- ٢- روعي في الصلاة على الخلفاء وأسرههم، زيادة عدد التكبيرات، التي وصلت إلى سبع تكبيرات، تمييزًا لهم عن غيرهم وتمشيًا مع مذهب الإمام علي بن أبي طالب.
- ٣- كان بعض الخلفاء والوزراء يحرصون على إحضار أجساد بعض الشخصيات، للصلاة عليها في الإيوان الكبير بالقصر، تشریفًا لهم.

#### تشيع الجنائز:

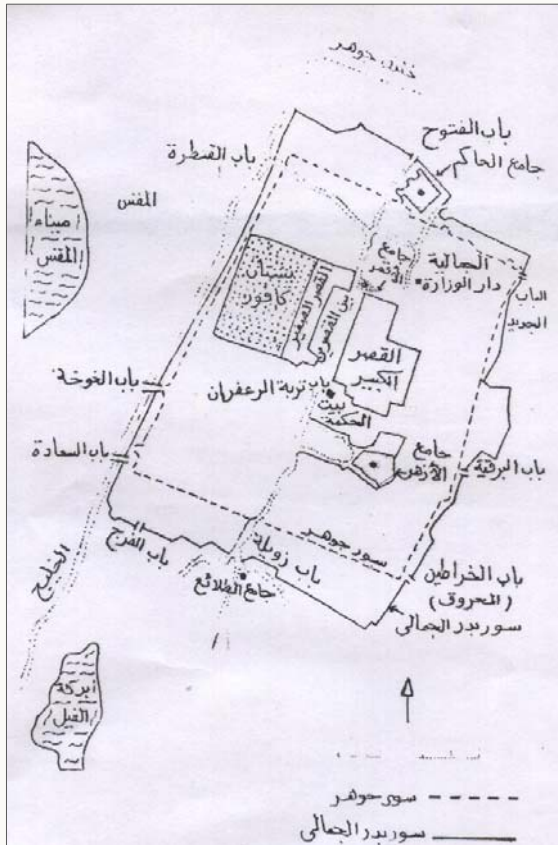
- ١- أوضحت أغلب النصوص أن الخلفاء وأسرههم وكباررجال الدولة، كانوا يوضعون في توابيت، تغطى بأفخر أنواع الأقمشة من الحرير والديباج.
- ٢- جرت العادة أن يقوم بحمل تابوت المتوفى، الأمراء والأستاذون وحاشية القصر.
- ٣- كان المتبع في الخروج خلف الجنائز، أن يترجل المشيعون بدون

كان لرجال الدين والعلماء مكانة ومنزلة رفيعة لدى الخلفاء والوزراء، فيذكر ابن ميسر في وفاة القاضي النعمان بن محمد،<sup>(١٣٩)</sup> المتوفى سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م): "وفي أول رجب توفي القاضي النعمان بن محمد، فخرج المعز [يبين الحزن عليه] وصلى عليه وأضجعه في التابوت، [ودفن في داره بالقاهرة]"،<sup>(١٤٠)</sup> كذلك حرص الوزراء على المشاركة بأنفسهم في تشييع جنائز القضاة ودفنهم، فيذكر ابن ميسر عن جنازة القاضي ابن قادوس المتوفى سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م): "وفيها مات بمصر القاضي المفضل كافي الكفاة أبو الفتح بن القاضي الموفق إسماعيل بن حميد الدمياطي المعروف بابن قادوس في سابع المحرم، فحضر الصالح من القاهرة إلى مصر للصلاة عليه ومشي في جنازته إلى تربته عند مسجد الأقدام"،<sup>(١٤١)</sup> كذلك كان رجال الدين من دعاة الإسماعيلية من الشخصيات التي حظيت باهتمام كبير من الدولة في مراسم موتهم وجنائزهم، فيذكر عماد الدين إدريس في وفاة داعي الدعاة هبة الله الشيرازي: "وكانت وفاة الداعي الأجل والسيد الأفضل حجة أمير المؤمنين وسيد الدعاة الميامين المؤيد في الدين، في العشر الأولى من شهر شوال الكريم سنة سبعين وأربعمائة، وصلى عليه مولانا المستنصر بالله - صلوات الله عليه - في القصر ودفن في الدار التي انتقل إليها - قدس الله روحه - وهي دار العلم".<sup>(١٤٢)</sup> ونلاحظ من النصوص السابقة؛ أن بعض رجال الدين من القضاة والدعاة، كانوا يحرصون على أن تكون قبورهم داخل منازلهم، كالقاضي النعمان وداعي الدعاة الشيرازي وذلك - فيما يبدو - تأكيدًا للخصوصية والتميز والبعد عن المقابر العامة.

#### خاتمة

استهدفت هذه الدراسة رصد مراسم الموت والجنائز عند طبقة الخاصة في مصر في العصر الفاطمي وتحليلها، لإبراز ما تمتعت به أهل هذه الطبقة من خصوصية وتميز، تتفق ومكانتهم داخل المجتمع المصري حتى عند الموت، وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج تتعلق بمراحل هذه المراسم نجملها في النقاط التالية:

## الملاحق



خريطة رقم (١)

"القاهرة الفاطمية موضحةً بها موقع تربة الزعفران" (عن أندريه ريمون)



صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)  
القباب السبع

ركائب، عدا الخليفة الذي كان يركب دائماً في هذه المناسبة

بغلة شهباء، لا ينزل عنها إلا عند قبر المتوفي.

- ٤- اعتادت بعض النائحات الخروج خلف الجنائز، خاصة جنائز النساء لمضاعفة مظاهر التعبير عن الحزن أو تحميس المشيعين.
- ٥- كانت جنائز كبار رجال الدولة من النصارى، يتقدمها حملة الشموع والمباخر مع ترتيل بعض نصوص من الإنجيل.

### الدفن:

- ١- جرت العادة أن يتم دفن الخلفاء وأسرههم بالتابوت، في مقابر خاصة بهم داخل القصر الخلافي، عرفت بتربة الزعفران.
- ٢- كان لمقابر الخلفاء وأسرههم - تربة الزعفران - بعض العادات والمراسم في زيارتها، فقد اعتاد الخلفاء زيارتها عند كل خروج من القصر، فضلاً عن أيام الجمع والأعياد مع تفريق الصدقات.
- ٣- خصص الخلفاء لمقابرهم - تربة الزعفران - أحد الأمراء للإشراف عليها وصيانتها، لما احتوته من آلات ومباخر وحلي ثمينة.
- ٤- حرص بعض الوزراء ورجال الدين على إعداد مقابرهم داخل منازلهم، إظهاراً لخصوصيتهم وتميزهم، كما كان يفعل الخلفاء.

### العزاء:

- ١- جرت العادة أن يُقام العزاء في الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، داخل القصر الخلافي.
- ٢- كانت مدة العزاء الرسمي للخلفاء والوزراء تستمر لمدة ثلاثة أيام.
- ٣- كان الدخول على الخلفاء لتقديم العزاء، يصحبه خلع العمائم إظهاراً للجزع والحزن.
- ٤- كانت مراسم العزاء في النساء تتم فوق المقابر، وتطول مدتها لتصل إلى الشهر.
- ٥- كان الشعراء يحرضون على إلقاء قصائد الرثاء في عزاء المتوفي، لما يعقب ذلك من منحهم بعض الأموال.

### الحداد:

- ١- كان المتبع في إظهار الحزن والحداد على المتوفي، ارتداء الخلفاء ملابسهم باللون الأخضر شعار الدولة الرسمي.
- ٢- حرص بعض الخلفاء على ارتداء اللثام للتعبير عن شدة الحزن في وفاة بعض الوزراء والقواد.
- ٣- كانت الدولة تلجأ في بعض الأحيان إلى إغلاق الدواوين وتعطيلها حداداً على بعض الشخصيات، كمظهر رسمي للحداد.
- ٤- حظيت بعض الشخصيات من كبار رجال الدولة على مكانة كبيرة لدى الخلفاء، استدعت إخراج سجل رسمي من ديوان الإنشاء لعزائهم، كان يقرأ ويوزع، كسجل التعزية في وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي.

## الهوامش:

(١) الرسوم: جمع رسم، والرسم هو أول ما يظهر من النبات، وهو أيضاً بمعنى الأثر والعلامة، الأسلوب، العادة، السمة، الصفة. ورسوم الشيء النظام الذي يسير عليه، ومن الرسوم اشتق الأتراك العثمانيون كلمة مراسم، للدلالة على معاني البروتوكول. ابن دريد: جمرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٧٢٠: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت، ١٩٨٦م، ج ٨، ص ٣٣: رنهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، العراق، ١٩٨٢م، ص ٥، ص ١٣٧، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، ص ٣٧٣.

(2) Heba H. Mostafa : *The Ceremonial - Urban dynamic of Cairo from the Fatimid to Early Mamluk Period*. The American University in Cairo, 2005, p. 27.

(٣) المراسم: جمع مرسوم، وهو الأمر المكتوب، كما تعني - أيضاً - مجموعة الأعمال والإجراءات المتخذة أثناء الاحتفالات الرسمية، كذلك تعني الاحتمال الرسمي الذي يقيمه الملك أو الرئيس، والالتزام بالقواعد المرسومة وتطبيقها بكل دقة وعناية. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ج ٥، ص ١٤١: محفوظ أحمد جودة: العلاقات العامة: مفاهيم وممارسات، دار زهران للنشر، ٢٠٠٦م، ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٤) المقرئ: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٦٥: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، محمد محمد أمين، محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ٢٦، ص ٦١.

(5) Stanly Lane - Pool: *History of Egypt in the Middle Ages*. London, 1924, p. 123.

(٦) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأنثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١م، ص ١٧٥: المقرئ: اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢٩٢: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج ٤، ص ١٢٣.

(٧) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للأنثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ص ٦٦: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٦، ص ٦١: محمود عرفة محمود: الدولة الفاطمية في مصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٦١.

(٨) اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢١٧.

(٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي الطويل، مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٩٠.

(١٠) أخبار مصر في سنتين، تحقيق: وليم ج. ملبورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٢٢٧.

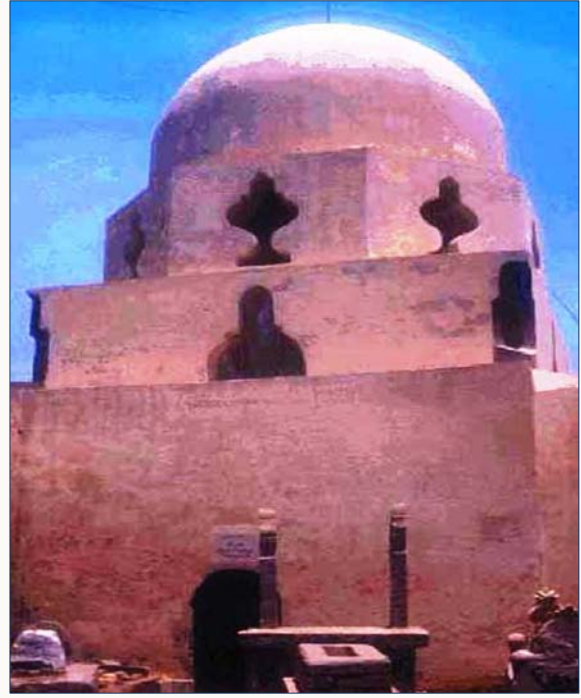
(١١) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٠: المقرئ: اتعاط الحنفا، ج ٣، ص ٢١٨.

(١٢) اتعاط الحنفا، ج ٣، ص ٣٤٧.

(١٣) المقرئ: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٥: ابن الحاج: المدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، دار الحديث بالقاهرة، ١٩٨١م، ج ٣، ص ٢٥٤.

(١٤) الحنوط: طيب يُخلط للميت يتكون من الكافور والمسك أو العنبر والصندل المدقوق، وقد روى عن ابن جريح قال: قلت لعطاء أي الحنوط أحب إليك؟ قال: الكافور. ابن منظور: لسان العرب، بيروت، ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٢٤٨.

(15) Carl. F. Petry: *The Cambridge History of Egypt*. Cambridge University, 1998, Volume I, p. 152.



صورة رقم (٣)

قبة الشيخ يونس (التي يحتمل أن تكون قبر بدر الجمالي)

- (١٦) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٣، ص٦٥.
- (١٧) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص١٧٢: المقرئ: اعطاء الحنفا، ج١، ص٢٨٨.
- (١٨) الكفن: الكفن هو التغطية ومنه سمي كفن الميت لأنه يستتره. ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٧٩.
- (١٩) المسيحي: أخبار مصر في سنتين، ص٢٣٠: ويذكر المقرئ أن ديوان المجلس كان هو المسئول عن إخراج الأكفان لمن يموت من أرباب الجهات المحترقات. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار. حققه: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢م، ج١، ص٣٢٣.
- (٢٠) وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٠.
- (٢١) المنتقى من أخبار مصر، ص١٧٢.
- (٢٢) صلاة الجنائز: هي استغفار للمتوفى، وتعوذ من عذاب القبر أو عذاب النار، وصلاة الجنائز أيضاً هي شفاعاة الأحياء عند الله، فعن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: "صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر"، مالك بن أنس، الموطأ، خرج أحاديثه وعلق عليه: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية (د.ت)، ج١، باب الجنائز ص١٤٧؛
- A. S. Tritton: *Muslim Funeral Customs*. (Bulletin of the School of oriental Studies ). University of London, 1938, Volume 9 , p. 656.
- (٢٣) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٣، ص٥٧.
- (٢٤) المقرئ: المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٨.
- (٢٥) المقرئ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٧.
- (٢٦) المنتقى من أخبار مصر، ص١٧٢.
- (٢٧) أخبار مصر، ص٢٢٨.
- (٢٨) المنتقى من أخبار مصر، ص١٦٤.
- (٢٩) النعمان بن حيون: دعائم الإسلام، تحقيق: أصف بن علي أصغر، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٥م، ج١، ص٢٨٢: المقرئ: اعطاء الحنفا، ج١، ص١٤٦.
- (٣٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨.
- (٣١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٣٥١.
- (٣٢) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج١، ص١٤٦.
- (٣٣) المنتقى من أخبار مصر، ص١٥٠.
- (٣٤) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج١، ص٢١٧.
- (٣٥) المنتقى من أخبار مصر، ص١٥٠.
- (36) A. S. Tritton: Op. Cit., p. 655.
- (٣٧) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، بيروت، ١٩٩٢م، ص٧٢.
- (٣٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص٣١٠.
- (٣٩) اعطاء الحنفا، ج٣، ص٣٢٨.
- (40) A. S. Tritton: Op. Cit., p. 656.
- (٤١) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٣، ص٦٧-٧٥؛
- Seta B. Dadayon, *The Fatimid Armenians*, New York, 1997, p. 98.
- (٤٢) دراعة مصممة: الدراعة نوع من أنواع الجباب، عبارة عن جبة مشقوقة المقدم، ولا تكون إلا من الصوف، أما كونها مصممة فهي إشارة إلى أنها بلون واحد لا يخالطه لون آخر. المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٢، ص٣: الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٨م، ج٢، ص٢٠١.
- (٤٣) المنتقى من أخبار مصر، ص١٧٤.
- (٤٤) اعطاء الحنفا، ج٣، ص١٧٥. والطيلسان: قطعة من القماش المربع يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة، والكلمة فارسية الأصل من تالشان أو تالسان، وقد كان الخلفاء الفاطميون يحرصون على ارتداء الطيلسان المقور المميز لرجال الدين باعتبارهم شخصيات دينية بالدرجة الأولى وأئمة للمسلمين. ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٢٥: أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، ١٩٨٨م، ص١١٣.
- (٤٥) المقرئ: المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٤: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، ص٣٧١.
- (٤٦) النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة - القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩١.
- (٤٧) ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ص٧٢: المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٣، ص٢١٨: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٩٣.
- (٤٨) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٨٦: عبدالمنعم سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية بالإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٢٠٨.
- (٤٩) المقرئ: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٨؛ S. D. Goitein: *A Mediterranean Society*, London, 1983, Volume II, p. 433. (50) Ibid., p. 433.
- (٥١) فارس خضر: ميراث الأسمى تصورات الموت في الوعي الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، ص١٤٠.
- (٥٢) ج. دي شاربول: موسوعة وصف مصر، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ج١٨، ص١٧٩.
- (٥٣) النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٨٦.
- (٥٤) المسيحي: أخبار مصر في سنتين، ص٣٤: المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٢، ص١٣٥.
- (٥٥) ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٨٦: زيمان عبدالكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص٧٨: محمد حمزة الحداد: قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م، ص٣٣٩.
- (٥٦) الدفن: هو الاستر والموارة، يُقال دفنه دفناً أو دفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين، ودفن الميت وراه. ابن منظور: لسان العرب، ج١٧، ص١١-١٢.
- (٥٧) التربة: تعني المقبرة، وهي مأخوذة من تربة الميت أي صار تراباً. المقرئ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بولاق، ١٨٩٨م، ج١، ص٣٥.
- (٥٨) ابن عبد الظاهر: الروضة الهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦م، ص٨٩.
- (٥٩) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٢١٦، ٤٣١.
- (٦٠) محمود سيد عبدالله: مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠٠٣م، ص٨٥.
- (٦١) المقرئ: اعطاء الحنفا، ج٢، ص٢٩٢: إغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره: محمد مصطفى زادة، جمال الدين الشيال، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٥.
- (62) Carl F. Petry: *The Cambridge History of Egypt*, Volume I. p. 152.
- (٦٣) نصوص من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٨: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٣٥٢.

Hazel Conway: *Design History a Students Handbook*, London, 1997, P. 19.

(٨٥) المن: وحدة قياس يُكّال بها السمن ويوزن، وجمعه أمتان، وقد قُدر المن بمقدار رطلين، أي ما يساوي ٨١٦ جرام. عبدالله بن سليمان بن منيع: تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة، السعودية، ٢٠٠٨م، ص ٥.

(٨٦) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ٣، ص ١٩: اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢٦٨.

(٨٧) دار الديباج: كان هذا المكان في بادئ الأمر سكنًا خاصًا للوزير يعقوب بن كلس ودارًا للوزارة، ثم أصبح بعد ذلك مخصصًا لصناعة نسيج الديباج من الحرير، لذلك عرفت هذه الدار بهذا الاسم، حتى بعد أن تحولت مرة أخرى سكنًا لقاضي القضاة وداعي الدعاة علم المجد أبي محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن. المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٣ :

Stanly Lane-Poole: *History of Egypt*, p. 121.

(٨٨) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ١٩.

(٨٩) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠؛ وانظر أيضًا:

Stanly Lane-Poole: *History of Egypt*, p. 121.

(٩٠) أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٠.

(٩١) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٢٠.

(٩٢) تكررت هذه النماذج من المقابر ذات القباب، فيما عرف بالقباب السبع بالقرافة الكبرى، وقيل أن منشئ هذه القباب السبع هو الحاكم بأمر الله، لدفن سبع بنات هن أولاد وزيره أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، الذي فرمنه إلى مكة، فأمر الحاكم بقتلهن - عقابًا لوالدهم - ودفنهن في هذه القباب عام ٤٠٠هـ/١٠١٠م، وترجع أهمية هذه القباب إلى أنها أمثلة للأضرحة المبكرة الموجودة في العمارة الإسلامية. سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧١م، ج ١، ص ٢٤٢؛ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية، جامعة القاهرة، ص ٢٧ - ٢٨.

(93) Seta B. Dadayon: *The Fatimid Armenians*, p. 107.

(٩٤) ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م، ص ٥٥-٥٧؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٤؛

Seta B. Dadayon: *The Fatimid Armenians*, P. 93 - 94 ; Carl F. Petry: *The Cambridge History of Egypt*, Volume I, P. 154.

(٩٥) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٤٦٢.

(96) Carl F. Petry : *The Cambridge History of Egypt*, Volume I, p. 153; Stanly Lane-Pool: *History of Egypt*, p. 154.

(٩٧) قتل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أثناء عودته إلى دار الملك بالفسطاط، إذ تذكر الروايات إنه قد تربص مجموعة من الرجال له، وقتلوه عند رأس الجسر ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥هـ/١١٢٢م. ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص ١٥-٢٠؛ ابن عبد الظاهر: الروضة الهية، ص ٦٧ :

Carl F. Petry: *The Cambridge History of Egypt*, Volume I, p. 153.

(٩٨) اتعاط الحنفا، ج ٣، ص ٦٥.

(٩٩) نصوص من أخبار مصر، ص ١٥.

(١٠٠) القرقوبي: هو الثوب الأبيض المتخذ من الكتان والحرير، والمنسوج بالذهب، التي اشتهرت مدينة تنيس بصناعته، وقرقوب: بلد متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز كانت تشتهر أيضًا بإنتاج هذا النسيج. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٣٥؛ رجب عبدالجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٣٨٦ :

(٦٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٦٥) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص ١٧٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٤، ص ١٢٣.

(٦٦) المسيحي: أخبار مصر في سنتين، ص ٢٢٧.

(٦٧) المقرئ: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٦٨) المنتقى من أخبار مصر، ص ١٧٢.

(٦٩) المُسَخِّمة: المسودة من السخام، وهو سواد القدر، وقد سَخِم وجهه أي سوده. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٤٦؛ رنهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٦، ص ٤٦.

(٧٠) كرازي الصوف: عصائب من الصوف تلف بها الرأس خمس أو ست لفات، باعتبارها عمامة، والكلمة ببرية الأصل. رنهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٩، ص ٦١؛ رجب عبدالجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢م، ص ٤٢٠.

(٧١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٧٢) العزاء: يقصد به الصبر عن كل ما فقدت، وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه، ويهون مصيبتيه وهي مستحبة، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعزية مستحبة قبل الدفن وبعده، وتكره بعد ثلاثة أيام، لأن التعزية لتسكين قلب المصاب، والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٣٥؛ الإيشيبي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مصطفى الذهبي، دار الحديث بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٥٥.

(٧٣) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٧٤) المقرئ: اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢١٧.

(٧٥) المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٦.

(٧٦) اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢٩٩.

(٧٧) عيون الأخبار وفتون الآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، معهد الدراسات الإسلامية، لندن، ٢٠٠٢م، ج ٧، ص ٢٥٩.

(٧٨) عماد الدين إدريس: المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦٣.

(٧٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ص ٣٥٧.

(٨٠) النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تحقيق: درنبرج، شالون، ١٨٩٧م، ص ٢٨١؛ السيوطي: حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ١٥.

(٨١) اتعاط الحنفا، ج ٢، ص ١٢٦.

(٨٢) ابن كلس: هو الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون ابن داود بن كلس، كان يهوديًا ولد عام ثمانين وعشروثلاثمائة ببغداد ونشأ بها، ثم أسلم في عهد كافور الإخشيدي سنة ٣٥٦هـ، ولزم الصلاة ودراسة القرآن، وقد وزر للخليفة المعز لدين الله ولابنه العزيز بالله، كانت وفاته صباح يوم الاثنين لخمسة خلون من ذي الحجة سنة ثمانين وثلاثمائة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٩٤-٣٩٩ :

Abbas Hamdani : *The Fatimids, Pakistan Chowk, Karachi*, 1962, p. 27, Stanly Lane-Poole: *History of Egypt*, p. 121.

(٨٣) وشى مذهب: الوشي والتوشية: خلط لون بلون آخر. ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٢٢١.

(٨٤) شرب ديبقي: هو نسيج من مشتقات الكتان امتاز بالنعومة والشفافية، نظرًا لاحتوائه على خيوط حريرية مذهبة، وقد اشتهرت مدينة دبيق التابعة لدلميات بإنتاجه فنسب إليها البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبلقاع، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٥١٣ :

(١١٩) المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤٤٧.

(١٢٠) النكت العصرية، ص ٦٣-٦٤.

(١٢١) اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٣٠٥.

(122) Stanly Lane – Poole: *History of Egypt*, p. 122; Abbas Hamdani: *The Fatimids*, p. 19.

(١٢٣) اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٧٢: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٦٠.

(١٢٤) المقرئ: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧٦: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٣.

(١٢٥) بديع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب بالقاهرة، ١٩٦٠م، ج ١، ص ٤٠.

(١٢٦) تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، مطبعة السعادة، ١٩٦٣م، ص ١١٧.

(١٢٧) كان سيف الدولة نادر الصقلي، أحد غلمان الخليفة العزيز بالله، الذي نسب إليه درب نادر بالقاهرة، وهو الدرب الواقع فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا، المسى الآن بدرب القزازين. علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ٢٢٣.

(١٢٨) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ١٣٠.

(١٢٩) البطانجي: هو الوزير المأمون البطانجي في عصر الأمر بأحكام الله، في الفترة من ٥١٥هـ إلى ٥١٩هـ المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٥٠٥: محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(١٣٠) نصافي: نوع من الأقمشة الرقيقة المنسوجة من الحرير والكتان. ربهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ١٠، ص ٢٣٧: رجب عبدالجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٤٩٤.

(١٣١) اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٥٧.

(١٣٢) الروضة البهية الزاهرة، ج ٢، ص ٦٥.

(١٣٣) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٥٦.

(134) Heba H. Mostafa: *The Ceremonial – Urban dynamic of Cairo from the Fatimid to Early Mamluk Period*, p. 30.

(١٣٥) اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٧٠: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ببيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٨٩.

(١٣٦) اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٧٠.

(١٣٧) نصوص من أخبار مصر، ص ٤٧: المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ٧١٤.

(١٣٨) أخبار مصر في سنتين، ص ٢٢٤: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٧٣.

(١٣٩) القاضي النعمان: هو النعمان بن أبي عبدالله بن محمد بن منصور بن أحمد ابن حيون، كان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية، اتصل بالخليفة المهدي عام ٣١٣هـ، وفي عهد المعز لدين الله قربه إليه وزادت صلته به، وأمره بالتأليف في تاريخ وعقائد الدعوة الإسماعيلية، فصنف كتاب (ابتداء الدعوة للعبيديين) وكتاب (الأخبار) في الفقه. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٥٨٦.

Abbas Hamdani: *The Fatimids*, p. 20.

(١٤٠) المنتقى من أخبار مصر، ص ١٦٥.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(١٤٢) عيون الأخبار وفتون الآثار، ص ١٥٣: وانظر أيضاً:

Abbas Hamdani: *The Fatimids*, p. 49.

Stanley Lane-Poole: *Art of the Saracens in Egypt*, London, 1986, p. 241.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٠٢) المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٦٧.

(١٠٣) المقرئ: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٥.

(١٠٤) المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٦.

(١٠٥) نصوص من أخبار مصر، ص ٢٠.

(١٠٦) ابن المأمون: المصدر نفسه، ص ١٨: المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٦٨. (107) Seta B. Dadayon: *The Fatimid Armenians*, p. 102.

(١٠٨) السنديروس: هو شجر هندي يخرج منه صمغ طيب الرائحة. ربهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٦، ص ١٦٦.

(١٠٩) المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٣: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ١٧٥.

(١١٠) خزانة البنود: البنود هي الرايات والأعلام، وكانت خزانة البنود مكاناً ملاصقاً للقصر الكبير، بناه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، وقد احترقت هذه الخزانة في عهد الخليفة المستنصر بالله، وجعلت بعد الحريق حبساً ومعتقلاً لكبار القوم إذا غضب عليهم الخليفة، فمما كانوا يقتلون ويدفنون. المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٣٩٥.

(١١١) ابن الأنباري: هو الحسن بن علي الأنباري، تولى الوزارة في خلافة المستنصر بالله عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، لمدة أربعة أيام، ثم صرف عنها وقبض عليه وصودرت أمواله وقتل في سجنه بخزانة البنود ودفن بها. ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٥٢: محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٢٥٤.

(١١٢) اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٩٦.

(١١٣) اليازوري: هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن اليازوري، فلسطيني الأصل من قرية يازور من أعمال الرملية، تولى الوزارة عام ٤٤٢هـ، وقتل بمدينة تيبس عام ٤٥٠هـ. ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٠-٤١: محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص ٢٥٧.

Stanly Lane-Poole: *History of Egypt*, p. 143 – 144.

(١١٤) أخبار مصر، ص ٨: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١١٥) المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٥.

(١١٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ص ٣٤٥.

(١١٧) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٤٩.

(١١٨) القرافة الكبرى: يكاد يتفق المؤرخون على أن القرافة عرفت بهذا الاسم في مصر، نسبة إلى بني قرافة، وهم بطن من بطون المعافر اليمينية التي شهدت فتح مصر، ونزلوا بهذه الخطة بالفسطاط، فسميت بهم مقبرة مصر بالقرافة، ونظرًا لإهمال شأن الفسطاط في العصر الفاطمي، فقد امتدت حدود المقابر حتى طغت على خطة بنو قرافة، لذلك قسم مؤرخو المزارات القرافة إلى قسمين: القرافة الكبرى وتبدأ من بركة الجيش في الجنوب إلى مصلى خولان في الشمال، ومن قناطر ابن طولون في الشرق إلى الرصد في الغرب، والقرافة الصغرى وتشغل المنطقة الواقعة بين مشهد الإمام الليث إلى سفح جبل المقطم مرورًا بمشهد الإمام الشافعي، ويبدو أن الغرض من هذا التقسيم كان تسهيل زيارة مشاهد آل البيت وأولياءه والصالحين المدفونين بها. المسيحي: أخبار مصر في سنتين، ص ٣٤: ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥: ابن عثمان: مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦: وانظر أيضًا: محمد حمزة الحداد: قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي، ص ٢١.